المتنبي

بقلم شاعر الريف محمود حسن اسماعيل
طالب بدار العلوم

مِزْمارُ جِنِّ بِتِيهِ الْكَوْنِ مَفْقودُ ... تَصَرَّعَتْ بَعْدَ ما غابَ الأناشيدُ
مُغَلَّفٌ فى جُيوبِ الغَيْبِ، لَجَّ بِهِ ... فى سَرْمَدٍ مِنْ ظلال الموت تَخْليدُ
تساءلَتْ عنه أرْواحُ الفلا، ومَضَتْ ... تضجُّ من وَحْشةٍ فيها الْجلاميدُ
وأسْبَلَ النَّجْمُ أجْفانًا مُحيَّرَةً ... أمَضَّها من عذاب الْبَيْن تَسهيدُ
مَطْروفَةً مِنْ غُبارِ الدَّهْرِ، أتْعَبَها ... طُولُ التَّمَلِّى، وإمْعانٌ، وتَفْنيدُ
تَرَصَّدَتْ مَوْكِبَ الدُّنْيا، فأزْعَجَها ... أنْ شَلَّ خُطْوتَها فى الدَّرِّ تَأْييدُ
فأرعشَتْ فى الدُّجَى أهْدابَها خَبَلاً ... كأنَّما غابَ فى سَوْدائِها عُودُ!
وَضاعَفَتْ عِلَّةَ الأنْسام سَفْرتُها ... جَوَّابةً.. حَظُّها فى السَّيْرِ مَنكودُ
تَمُرُّ بالدَّهْرِ حَيْرَى.. ما تُهامِسُهُ ... إلاَّ ويُرْمِضُها من فيهِ تنكيدُ
تقولُ: هذا عجيجُ اللَّحْنِ مُحْتدِمٌ ... تَرِنُّ فى جَرْسِهِ السَّارى الأغاريدُ
وأيْنَ - يازهرُ - نايٌ كانَ مُلْهِمَهُ ... ماأسْكرَ الكونَ من نَجْواهُ ترديدُ؟
هـذا النَّشيد فمُ الدُّنيا يُرَدِّدُهُ ... فأيْنَ من سِحْرِهِ القيثارُ والعودُ؟
فطَرَّحَ النَّوْرُ أكْمامًا مُخَبَّلَةً ... وقَصَّفَتْ نَفْسَها مِنْهُ الأماليدُ
وذابَ فى مَهْدِهِ عِطْرٌ يُؤَرِّجُهُ ... وغابَ مِنْ خدِّهِ سِحْرٌ وَتَوْريدُ
وَاهْتَزَّ هِزَّةَ أوَّاهٍ، يُرَنِّحُهُ ... فى سَوْرَةِ الذِّكْرِ إيمانٌ وَتَوْحيدُ

وَقالَ : كَمْ مَرَّتِ الأَجْيالُ عابرةً ... ولَحْنُهُ فى فَمِ الأَجْيالِ غِرِّيدُ
لكنَّها وَجَمَتْ مِثْلى، وقد سُئِلَتْ ... وغالَ تِبْيانَها عِىٌّ وتَبْليدُ !
وإذْ بعاصفةٍ هَوْجاءَ قد صَعِقَتْ ... لِهَوْلِها الجِنُّ ، والآطامُ ، والبِيدُ
كأنَّها هَيْجَةُ الأقدارِ، مُذْعَصَفَتْ ... ماطاقَها فى شِعابِ الأرضِ مَوْجودُ
مِنْ مَزْجِ عَبْقَرَ قد هَبَّتْ مُجَلْجِلَةً ... كأنَّها مِنْ عُتاةِ الجِنِّ تَهْديدُ
فى قلبِها نَغَمٌ .. إنْ رَقَّ ؛ تَحْسَبُهُ ... تَأْويهَةً رَدَّدَها فى اللَّيْلِ مَعْمودُ
وإنْ قَسَا ، فقُلوبُ الناسِ واجِفَةٌ ، ... والأرْضُ لاهِفَةٌ ، والكونُ رِعْديدُ
أَلْقَتْ على الزَّمَنِ المَجْنونِ حِكْمَتَها ... فراحَ يُهْدَى بها شَيْخٌ ومَوْلودُ
وأَطْرَبَتْ مِسْمَعَ الدُّنْيا بنَغْمَتِها ... كأنَّما نفخَ المِزْمارَ « داوُدُ »
تُلَقِّنُ الفَرِقَ الهَيَّابَ سَوْرَتَها ... فيَغْتَدِى وَهْوَ فى الهَيْجاءِ صِنْديدُ
صَهْباءُ ماجاوَرَتْ كأسًا، ولاشُرِبَتْ ! ... ولا اسْتَقَلَّ بها فى الكَرْمِ عُنْقودُ !
ما زال نَدْمانُها حَيْرانَ تَكْرُبُهُ ... ضَلالَةٌ عَنْ مَجانيها وتَشْريدُ
حتى أَتَى « حَلَبَ » الشَّهْباءَ مُنْتَشِيًا ... وجِسْمُهُ من ضَنى التَّسْيارِ مَهْدودُ
فراعَهُ مارأى من سِحْرِ مَشْهِدِها .. الخَمْرُ أَخْيِلَةٌ ، والعَقْلُ راقودُ
ومِزْهَرُ « المُتَنبِّى » عازِفٌ هَزِجٌ ... مُعَلَّقٌ بأَواسِى النَّجْمِ مَشْدودُ
يُفَجِّرُ اللَّحْنَ ، إمَّا رَنَّ صادِحُهُ ... خَرَّتْ على وَجْهِها مِنْ سِحْرِهِ الصِّيدُ ..
فزمزمَتْ شفتاه بُرْهَةً ، ومَضَى ... والقَلْبُ من سَكَراتِ اللَّحْنِ مفؤودُ
يقول : لاتحشدوا عيداً لذِكْرَتِهِ ... فكلُّ لَحْنٍ شَدَا مِنْ نَايِهِ عِيدُ !

محمود حسن اسماعيل